ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:
Dr. Amer Hashem Muhammad
University: Wasit University
College: College of Education for Human Sciences
Email: Amuhammad@uouuasit.eu.iq

Keywords:
language, soliloquy, stranger
A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 10 Apr 2022
Accepted 26 Apr 2022
Available online 1 July 2022

Soliloquy Language in Badr Shaker Al- Sayyab's Poem Stranger on the Bay

A B S T R U C T

Stranger on the Bay is one of the most famous poems; its language is intense, uniting a variety of modes or rhetorical languages, for example, the language of grief, the language of nostalgia, the language of alienation, and so on. If we read the poem carefully, we will discover that it is addressed the concept of the stranger, as one of the reasons for alienation is that it requires the stranger to connect with the unseen in the absence of one. Thus, we witness him communicating with his soul in a variety of languages, most notably the supplication language. It is repeated in multiple poems as a result of his belief in the unseen and the creator who rescues him from this pain.

© 2022 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/

مناجاة اللغة في قصيدة بدر شاكر السياب (غريب على الخليج)

م.د عامر هاشم محمد/ جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية

الخلاصة:

تعد قصيدة غريب على الخليج من القصائد المميزة؛ إذ نجد في لغنها طاقة تتحد فيها مجموعة من الأساليب أو مجموعة من اللغات الحاكية مثلاً لغة الألم ولغة الحنين ولغة الغربة إلى آخره ولو ركزنا في القصيدة جيدا لوجدناها تتجه نحو مفهوم الغريب، إذ من دواعي الغربة أنّها تدفع بالغريب باتجاه الحديث مع الغيب إذا لم يكن معه أحد فنراه يناجى روحه بلغات مختلفة سيما لغة الدعاء الذي نجد مضمونه حاضرا في كثير من الأبيات لإيمانه بالغيب وعقيدته في الخالق الذي يخلصه من هذه المعاناة ومن هذا الإحساس القاتل بالغربة فجاء العنوان بهذه الصيغة لغة المناجاة في قصيدة غريب على الخليج.

المفاتيح (اللغة، المناجاة، الغريب)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين منا إلى يوم الدين.

تعد المناجاة من المفاهيم الخاصة التي يجب ان يكون لها أسلوبها الخاص وطريقتها المنفردة وذلك لأن كل الكلمات التي تكون فيها وتنشأ منها يكون مصدرها الوجدان والضمير والروح سيما وأنّ هذه المخرجات تتجه نحو الذات العليا فيشترط أن تكون المخرجات بلغة تتناسب مع المقام ولهذا لحظنا في هذا البحث لغة المناجاة لتكون عنوانا لقصيدة غريب على الخليج هذه القصيدة المميزة؛ التي نجد فيها طاقة تتحد فيها مجموعة من الأساليب أو من اللغات الحاكية مثلا لغة الألم ولغة الحنين ولغة الغربة ولو ركزنا في القصيدة جيدا لوجدناها تتجه نحو مفهوم الغريب، وأنّ من دواعي الغربة تدفع بالاتجاه للحديث مع الغيب إذا لم يكن معه أحد فيتكلم مع روحه ومع خالقه فتأتي هنا المناجاة بلغة العتب والتأنيب والدعاء فنجد كثيرا من الأبيات التي فيها مضمون الدعاء لتمسكه بالغيب الذي يخلصه من هذه المعاناة وهذا الإحساس القاتل فجاء العنوان بهذه الصيغة لغة المناجاة في قصيدة غريب على الخليج لنتمكن من كشف هذه اللغة المعبرة عن أروع صور المناجاة.

في مفهوم المناجاة:

يرد مفهوم المناجاة في اللغة للدلالة على العزلة والتسارر، فإن قيل: ناجى فلانٌ فلانا؛ فالمعنى أنّه سارره دون سواه، والمناجاة ضرب من الكلام، أو هي ضرب من الكلام الخفيّ؛ إذ قال ابن دريد: "وتناجَى القومُ مُنَاجَاة ونِجاءً من مُنَاجَاة الْكَلَام (ابن دريد: د. ت. 1064/2).

وهذا يعني أنّ عمليّة المناجاة عمليّة تخاطبيّة تتطلّب طرفين: المناجي والمناجى، إذ يقول ابن منظور: "المُناجِي المُخاطِب للإنسان والمحدِّث لَهُ، وَقَدْ تنَاجَيا مُناجاة وانْتِجاء، وبهذا نفهم أنّ المناجاة تدلّ على ممارسة خطابيّة منعزلة أو منفردة، وهي نوع من الهمس والخلوة، لكنّها تختلف عن التسارر، في "أن النَّجْوَى اسم للكلام الخفي الذي تناجي بِهِ صَاحبك كَأَنَّك ترفعه عَن غَيره ... والسر إخفاء الشَّيْء فِي النَّفس وَلَو اختفى بستر أَو وَرَاء جِدَار لم يكن سرا" (ابن منظور: 1955 308/15).

أما في الاصطلاح: فهي عبارة عن" مسامرة بين حبيبين لا يسمعهما ثالث" (السامرائي: 1969، 456).

وصفوة القول إنّ المناجاة حاجة إنسانيّة أوجدتها ضرورات مختلفة تتّصل بالمناجي من نواحي نفسيّة وروحيّة واجتماعيّة، ولا تفارق المناجى في هذا الباب، بل تدلّ على ارتباط واقعيّ أو افتراضيّ؛ إذ ينصرف المناجي إلى المناجى دون غيره، كأن يكون الله سبحانه وتعالى أو خيالا أو ذكرى أو رجل مقدّس من جماعة معيّنة أو غير ذلك ممّا تقتضيه الحال ويستسيغه المقام (ينظر: مبارك، 2012، 73/1).

وكان ــ في عهود سابقة ــ ينظر إلى المناجاة على أنّها نوع من أنواع العبادات الصرفة وهي تخصّ مناجاة العبد إلى خالقه، وتتّسم هذه الفعاليّة بالتضرّع والتوسّل وطلب المساعدة من إله المناجي أو التوسّط لطلبها بواسطة أحد الأئمة أو رجل يتّسم بالقداسة والحاجة دائما صحيّة أو ماديّة أو اعتباريّة (ينظر: بلعلي: د. ت. 57/50).

، وفي العصر الحديث ومع تطوّر الحياة والعلوم الإنسانيّة، وأنساق النقد ودخول النقد الثقافيّ دائرة الإبداع ومسايرته للنقد الأدبيّ تغيّر مفهوم الإنسان للمناجاة فأصبحت أكثر شمولية وذلك لوجود مرتكزات دلاليّة وسياقيّة تقوم على تبادل الحوار بين ثنائيّين حتّى لو كان أحدهم افتراضيّا (ينظر: الخفاجي: د. ت. 113).

وهنا أصبحت المناجاة شكلا متطورا للحوار ما بين حدث بشري وربما صدى أو تهويمات خيالية، والمنجاة في فهم الأستاذ صابر عبد الدايم .. هي من تتسع دلالاته وتتنوع أبعاده لتشمل المناجاة الدينية التي هي... بعد فياض بالدلالات والروى ومناجاة الطبيعة العامة ومناجاة الزمان ومناجاة المكان وعناصر الوجود الموثرة في النفس الإنسانية وتشمل أيضا المناجاة الذاتية والمناجاة الحوارية والتلقينية ومناجاة الشخوص وكلها يتضمنها خيط شعوري متآلف النسيج والروى وهو تجسيد للقيم الروحية والعاطفة الإنسانية والدينية والمناجاة في الشعر الديني والابتهالات أما اليوم فالمناجاة أصبحت لها دلاله مشفرة في العقل والوجدان ويضيف كذلك أنّ المناجاة هي خطاب هامس وخافت بين اثنين أو أكثر والمناجاة تكون بين الخير والشر فالأخيار يتناجون فيما بينهم (ينظر: عيسى: 2012، 2).

وكذلك الأشرار لهم مناجاتهم الخاصة وطرق التواصل فيما بينهم وبما أنّ المناجاة هي خطاب خافت بين اثنين أو أكثر فربما يكون الخطاب بين كينونة إنسانية تشغل حيزا من المكان في زمن معلوم محدد وفق قياساته الاعتيادية وبين مخاطب وهمي، خيالي أو افتراضي يقع في طرف افتراضي أو خيالي أي أنّ المحاورة تقع بين واقع وواقع آخر مفترض أو مستحيل (ينظر: دومة: 2013، 84).

والحوار دائما يقع بين شخصين والحوار ابتدأ بالمسرح وهو من ابتكاراته أخذه السرد منه وتلقفه بأذرعه فصار ركنا مهما في البناء القصصي أو الروائي، والحوار مناقشة بين اثنين أو أكثر بواسطة الكلام على أن يكون النقاش هادئا ومتسما بالاحترام دون غضب أو تشنج أو غطرسة وإذا خرج الحوار من دائرة الاحترام تحول إلى شيئ آخر ربما صراخا أو استهجانا عند ذلك يدخل بدائرة الجدل وربما يتحول إلى جدال سلبي لا نفع فيه، وبواسطة الحوار يستطيع الإنسان التواصل مع الآخر لأجل تبادل المعلومات والمعارف والأخبار فالحوار لغة ثالثة ما بين المناجاة واللغة السردية فهذه تكشف عمّا يجول في داخل المناجي من خلجات وأفكار تعكس ما أضمر في نفسه (ينظر: هلال، 2013، 156).

وهنا في قصيدة غريب على الخليج ولكي يدخل الشاعر في مناجاته أو حواره مع الأشياء المحيطة به أو التي يستحضرها من خلال التأمل والتخيل لا بد له من وصف مرتكزات قصيدته بلغة خاصة:

"والريح تلهث بالهجيرة كالجثام على الأصيل

وعلى القلوع تظل تطوى أو تنشّر للرحيل" (الربيعي: د. ت. 171)

وهذا الوصف الاستهلالي جعل الريح تعاضد الشاعر في محنته وهي ساكنة فلا تهب على الأشرعة فتجر السفن والأبحار .هو السفر أو الرحيل .. وهذا الرحيل هو

أمنية الشاعر ...البطل .. لأنه يريد الإبحار نحو بلده وهنا ترصد القصيدة لغة:

"جلس الغريب يسرّح البصر المحيّر في الخليج" (الربيعي: د. ت. 171)

والغريب هنا هو.. بطل القصيدة وهو الشاعر نفسه وقصة اغترابه وغربته معروفة للقارئ والدارس معا فهنالك وسط ذلك الاكتظاظ للريح والمر والقلوع يجلس البطل معطل الأحاسيس بما يدور حوله من ريح وسفن وبحارة أغلبهم يواصل رحلة الإبحار طلبا للرزق وهم حفاة أنصاف عراة لأنهم فقراء لأن أحاسيسه وكل مشاعره معلقه هناك في بقعه تبدد في الآن بعيدة عنه أو نائية أنها بلده العراق ولكي يهدأ من احتراقاته في آتون اغترابه يبدأ بحواره مع موجود عيني، اعتباري هو العراق.. السيد المبجل.

"الريح تصرخ بي عراق

والموج يعول بي عراق ، عراق ، ليس سوى عراق

البحر أوسع ما يكون وأنت أبعد ما تكون والبحر دونك يا عراق" ((الربيعي: د. ت. 171)

فالريح تدوي داخل أعماقه . والموج يبكي منه الغريب . وروحه تتنفس كلمه واحدة اسمها عراق . والعراق بعيد عنه

دونه البحر والبحر، بحر لا قرار له ولا رحمة

وهذه الكلمة السحر ، العراق الوطن الأشهى الوطن الذي لا بديل عنه ولا يعادل تأخذه هي الكلمة السحرية إلى حين الطفولة والصبا

حين الأمس ... ولكن أي أمس

"بالأمس حين مررت بالمقهى سمعتك يا عراق وكنت دورة أسطوانة" ((الربيعي: د. ت. 171)

وهنا دورة أسطوانة وهي تجاذب وتبادل معلومات

الاسطوانة ربما نغني والإنسان المستمع يستمع وبما الأسطوانة تبكي والمستمع يبكي هو الآخر أو يتصابر أو يضحك

انطلاقا من شر البلية ما يضحك .. ا وأنّ الأسطوانة تبث أخبارا والمستمع يتفاعل

ولكي تكون ذكرياته مع بلده أصدق وأنبل من حيث المشاعر فلا بد من وجود معيار بوزن ثقيل الجميع يتفق على حضوره الفاعل وسط أحداث الحياة وهنا يختار الشاعر الأم

"هي وجه أمي الظلام، وصوتها ، يتزلقان مع الروى حتى أنام" (الربيعي: د. ت. 171)

الشاعر يستذكر وجه أمه وهو يشرق في الظلام والظلام هنا دلاله الفقر والفاقة والعوز والحرمان ، ويستذكر صوتها

بل يسمعه يسمع رجعه وصداه وهو يتألف مع النخيل

"وهي النخيل أخاف منه إذا أدلهمّ مع الغروب .. فاكتظّ بالأشباح تخطف كلّ طفل لا يؤوب من الدروب" (الربيعي: د. ت. 171)

فالخوف هنا تجذر في الظلام الممتلئ بالأشباح فيكون الدرس قاسيا على كل طفل لم يعد قبل حلول الليل إلى البيت

وهذه قاعدة اجتماعية أتفق المجتمع على نجاعتها وهي تجعل الأطفال يعودون باكرا إلى بيوتهم دون معاناة من الآباء

وأمه هي

"وهي المفلية العجوز"(الربيعي: د. ت. 171)

مازال يسمع صدى فليها لرأسه

والعجوز هنا هي جدته ، إذن كانت هناك تبادل أدوار ما بين أمه وجدته فهنا يناجي ويحاور الحنان القابع في داخل الكينونتين وهو يسمع ما قالته جدته العجوز

"وما توشوش عن حزام

وكيف شق القبر عنه أمام عفراء الجميلة فاحتازها إلا جديلة"(الربيعي: د. ت. 171)

فوشوش أي تتحدث بصوت خفيض وكأنها تناجي نفسها ، تقول لحفيدها أو تعيد على مسامعه حكاية حب عمره لعفراء الجميلة ولكن تواجد هذه الجملة

إلا جميلة.. لا تفي بالغرض .. ولا و لا توضح ما يراد بها الاستثناء ولا تنهض القصيدة إلا بوجود عنصرها النسائي

بوجود امرأة وهذه المرأة كانت هي الأم .. الجدة.. ثم الحبيبة.

"أحببت فيك عراق روحي أو حببتك أنت فيه

يا أنتما مصباح روحي أنتما .. وأتى المساء والليل أطبق" (الربيعي: د. ت. 171)

فـي المسـاءات تبـدأ اسـتعدادات الشـوق وتتواصـل حمـئ الوجـد وأثنـاء سـاعات الليـل تكتمـل اللقـاءات وتقـدم الاشتهاءات

فوق أواني القلوب الشفافة المأخوذة بالشوق والحنين .

في الليالي يحلو البوح وتتصاعد لغة الجسد لتحكي شوقها ووجدها ولهفتها واحتراقاتها في آتون الانتظارات المتواصلة والمزعجة.

وهنا بطل القصيدة ـ الشاعر الذي نعرفه ـ الغريب المشتعل بنار غربته . ليس لها مثل هذه الأجواء وإنما كان نصيبه هو مناجاة . الحبيبة . ومناجاة الحبيب . الوطن الأغلى العراق

فمساء الغريب احتراق ولياليه اشتعالات متواصلة . وهنا تتم المناجاة ما بينه وبين أحبته بواسطة التذكر

فليس هناك طريقه للتواصل الروحي سوئ الاشتعال مع الذكريات القديمة وشوقه إلى محبوبه سوئ كان العراق أو الأنثى الحبيب أو الأم

هو

"الملتقى بك والعراق على يديّ .. هو اللقاء

شوق يخضّ دمي إليه ، كأن كل دمي اشتهاء

جوع إليه .. كجوع كلّ دم الغريق إلى الهواء

شوق الجنين إذا اشرأبّ من الظلام إلى الولادة" (الربيعي: د. ت. 172)

فالملتقى الافتراضي بالعراق هو اللقاء والأمل في هذا التوحد هو اللقاء أيضا فلا شوق سوى شوقه الذي يهز دمه

فيصبح كل دمه هو اشتهاء لذلك اللقاء

وفي داخل شاعرنا جوع والجوع مثلما يقال كافر ، جوع إلى عراقه ، حبيبه

يصور جوعه هذا مثل جوع الغريق إلى نسمة هواء أي القليل من الأوكسجين ليكون قبلة الحياة

ويصوره أيضا مثل شوق الجنين إلى معاناة الحياة وهذا الشوق جاء افتراضيا لأننا نجهل تماما ما يحدث للجنين داخل

بطن أمه ..... وماهي التحولات التي تطرآ عليه وإن كان الطب قد أوغل في دراسته ولكن تبقى التحولات النفسية مجهولة

سوى كانت عند الصغار أو وكل هذا الحب الجارف الذي لا تحده حدود وهذه العواطف الجياشة من أجل أن يفجر قنبلته بوجه

"إني لأعجب"(الربيعي: د. ت. 172)

والعجب هو هنا تراسل ما بينه وبين الذي تعجب من ممارساتهم التي رأها غير لائقة

"كيف يمكن أن يخون الخائنون"(الربيعي: د. ت. 172)

والخيانة في معناها الشمولي هي انتهاك أو خرق لعهد مفترض أو أمانة أو ثقة كانت متبادلة بين اثنين وهي عملية مخالفه لمعيار الأخلاق والقيم السائدة في المجتمع ، وتعتبر من أكثر التجارب المؤلمة.

وهنا يطلق الشاعر صرخته ..

"كيف يخون الخائنون؟"(الربيعي: د. ت. 171)

وهو لا يريد أن يجد حوارا ما بينه وبين الخائنين لأنه يستهجنهم ولا يشرفه أن يقيم حوارا حتى لو افتراضيا معهم

لذلك أتى بكيف الاستفهامية وهي اسم مبني على الفتح يستعمل للاستفهام الحقيقي أو غير الحقيقي. وما أعظم من خيانة الإنسان لبلده... ولهذا تصرخ القصيدة بأعلى صوتها،

"أيخون إنسان بلاده؟"(الربيعي: د. ت. 172)

كيف يتنكر إلى تربة بلده ومائه وخيراته ؟.. لماذا يخون الإنسان البلد الذي يضم إليه الأب والأم والأخوة ويحنو على الأطفال الصغار ؟ وفي فهم القصيدة وفي رأي الشاعر أن الإنسان الخائن سوف يتحول إلى كائن آخر وربما مسخ أو لا شيء

"إن خان معنى أن يكون ... فكيف يمكن أن يكون"(الربيعي: د. ت. 172)

أي أن الذي يقوم بفعل الخيانة سوف تلتصق فيه كلمة الخيانة فيتحول إلى خائن وهذه نتيجة طبيعية لحدوث الفعل هو الخيانة ولكن كيف سيواجه الخائن الناس ، الأهل ، الأقارب ،السواد الأعظم في المجتمع ماذا سيقول وبأي حجه سيتحجج ؟ ومن الذي سيقبل عذره بغض النظر عن قوة العذر وشرعيته أو ضعفه.

والخيانة هنا بحق سيد البلدان .. البلد الذي فيه

"الشمس أجمل في بلادي من سواها

والظلام حتى الظلام هناك أجمل

فهو يحتضن العراق" (الربيعي: د. ت. 172)

فالشمس هي الأجمل بين كل شموس دول الأرض وحتى الليل هو الأجمل لأنه ساحر ورائع

فيقول له إن شمس العراق وليل العراق أي نهار العراق وليله هي الأجمل والأرقى وربما يسمع همسا من هذا الافتراضي والذي يكون بالتأكيد الخائن لأن الشاعر ينأى بنفسه فلا يكلم من خان وطنه وهذا الهمس يقول

ولماذا الشمس هي الأجمل

ولماذا الظلام هو جميل أيضا

فتأتي إجابة الشاعر لإنصاف العراق ولهذه الأسباب .. الخيانة والغربة والاغتراب والبعد وأسباب أخرى تجعل

الشاعر لا ينام ...إذ تخبرنا القصيدة بذلك

"وا حسرتاه متى أنام

فأحس أن على الوسادة

من ليلك الصيفي

طلا فيه عطرك يا عراق" (الربيعي: د. ت. 172)

وا ...حسرتاه ..يتأوه الشاعر متمنيا ان ينام ملء جفونه تماما مثلما كان

ينام في وطنه فتتبلل وسادته من ندى ليل العراق الذي فيع عطر العراق ...هنا يناديه يا عراق

إذن أصبح لدينا من ينادي وهو غريب ومنادى عليه وهو العراق

هذه مناجاة أو حواريه بين اثنين ،ندين متكافئين

والشاعر البطل ،الغريب المغترب يذكرنا بغربته لأنه يسير وسط شوارع المدن الغريبة

"بين القرى المتهيبات خطاي والمدن الغريبة

غنيت تربتك الحبية"(الربيعي: د. ت. 172)

لكنه مازال متوحدا هناك ،مغتما من عالم المدن الجميلة ،مدن الغربة فيشعر بتراب شوارع بلده أجمل لأنه تراب الحبيب الغالي على قلبه.

"ما زلت أضرب مترب القدمين أشعث في الدروب

تحت الشموس الأجنبية متخافق الأطمار،أبسط بالسؤال يداً نديّه"(الربيعي: د. ت. 172)

يفجر الشاعر قنبلة معاناته حين يصف حالته المادية، فهو بملابس رثة لا يملك النقود ولأنها الوسيلة الوحيدة لإرجاعه إلى بلده لذلك نراه يمد يده ليطلب العون والمساعدة من الغرباء

في هذا المقطع يوجه الشاعر من خلال قصيده حواره مع ذات من المفترض أن تكون هي الآمرة والناهية وهل يروق لها أن الشاعر يذل هكذا . فأي ذل هذا...

"صفراء من ذل وحمئ ... ذل شحاذ غريب

بين العيون الأجنبية، بين احتقار، وانتهار، وازورار، أو خطيّة" (الربيعي: د. ت. 173)

يده أصبحت صفراء من ذل السؤال

لأنه شحاذ ولو كان في بلده لهان الأمر لكنه شحاذ غريب بين عيون أجنبية

وهو يقع أو يسمع كلمة خطية وسط كم هائل من احتقار وكلام مسيء

حتى أصبح عنده **"الموت أهون من خطية" (الربيعي: د. ت. 171)**

فأين أنت يا موت ..تعال لتخلصه من عذاب الذل والامتهان والعوز والفقر والغربة

ثم يلملم الشاعر كل غضبه بحنجرته فيصرخ

"فلتنطف يا أنت ياقطرات يا دم يا نقود

يا ريح يا إبرا تخيط لي الشراع متى أعود إلى العراق متى أعود" (الربيعي: د. ت. 173)

يقول الشاعر أمرا ومخاطبا . استكيني يا مفردات لوعتي ..كفى ..

يخاطب من يسمعه يا أنت .. من يا ترى أنت ؟

وبما هو الحاكم أو من بيده مقاليد السلطة أو الحكومة أو حكومة تخص مدينة ما

أو يخاطب تاجرا أو ضميرا مازال نابضا بالإنسانية ومع هذا لا يرجو من هذا الذي هو يا أنت

فيقول له توقف أو انطفئ حالك حال

الدم والنقود ... آه من لوعة الشاعر مع النقود

ثم يخاطب الريح ويطلب منها أن تحضر الأشرعة وهي تخيطها بأصابع أجنحتها اللا مرئية

كي يتم الإبحار من أجل العودة إلى العراق .. ثم يناجي السفن راجيا ومتأملا

"ليت السفائن لا تقاضي راكبيها من سفار

أو ليت أنّ الأرض كالأفق العريض بلا بحار"(الربيعي: د. ت. 173)

أن يكون السفر مجانا أو بعض الفقراء ويتمنى واهما لو كانت الأرض منبسطة ومتواصلة دون فواصل أي لا بحار ولا محيطات وفي هذا الصدد قال الشاعر العراقي الراحل عبد الأمير جرص

أبي ... يا أبي

لماذا لم تقل لي أنّ الأرض أصغر كثيرا من الشمس

وأن الماء يشغل ثلاثة أرباعها

أبي لقد ظننتها كافية لإيوائي

ولكن هيهات هذا التمني فما بين الإنسان ومبتغاه فواصل وحدود وبحار ومحيطات وجبال وعادات شعوب وتقاليد وقوانين وشرطة وحراس وجنود .. لهذا يعود الشاعر يلملم خيباته وهو يعد

"ما زلت أحسب يا نقود أعدكنّ وأستزيد

ما زلت أنقص يا نقود بكنّ من مدد اغترابي

ما زلت أوقد بالتماعتكن نافذتي وبابي"(الربيعي: د. ت. 173)

يقيم الشاعر من خلال بطل قصيدة حواره الملتهب مع النقود يطلب منهن أن يكثرن بأي طريقة بالتناسل بالعد ، بالتضخم ، المهم يريد ان يصلن إلى مرحلة الاكتمال لأنه يريد بواسطتهن العودة إلى العراق

وهو معهن يرقص ويتلاشى في اغترابه وحزنه لذلك الاغتراب ومع هذا ما زال يفتح نافذته وبابه عسى أن يرزق فتزداد بيده نقوده وهي الأموال التي من المفترض بها أن تصله بأكمله ويطلب من النقود

"في الضفة الأخرى هناك

فحدثيني يا نقود"(الربيعي: د. ت. 173)

وهنا أنسى الشاعر النقود وجعلها تتكلم أو طلب منها الكلام لكي يتحاور معها .

فهو يريد منها خدمة واحدة فقط وهي على شكل سؤال

"متى أعود متى أعود"(الربيعي: د. ت. 173)

يريد موعدا ثابتا لعودته لبلده ومن خيالاته وتخيلاته أنه يسأل

"أتراه يأزف ... قبل موتي ذلك اليوم السعيد" (الربيعي: د. ت. 173)

في هذا المقطع تنبأ الشاعر بموته في ديار الغربة لكنه يراوغنا ويجعله بصيغة تساؤل متى العودة...

وهل ستكون قبل موته وإذا حدث المرجو، المستحيل وعاد الشاعر إلى بلده ماذا يحدث

"سأفيق في ذاك الصباح . وفي السماء من السحاب

كسر وفي النسمات برد مشبع بعطور آب" (الربيعي: د. ت. 173)

حين يعود سوف يستيقظ مع أولى دفقات الصباح ليتعطر بندى الليل المشبع برائحة العطور الفواحة ثم ينشد على مسامعنا آخر كلمات قصيدته لأنه يريد أن يوهمنا أنه معنا في العراق ونحن راضون بهذا الإيهام

"وأزيح بالثؤباء بقيا من نعاسي كالحجاب
من الحرير يشف عما لا يبين وما يبين
عما نسيت وكدت لا أنسى وشكّ في يقين
ويضيئ لي وأنا أمد يدي لألبس من ثيابي
ماكنت أبحث عنه في عتمات نفسي من جواب
لم يملأ الفرح الخفي شعاب نفسي كالضباب
اليوم واندفق السرور عليّ يفجأني أعود"(الربيعي: د. ت. 173)

من كل ما تقدم وما باحته لنا القصيدة أنّ غربة الشاعر غربة مكانية
هذا صحيح ولكن عند التدقيق بإمعان وقراءة الشاعر قراءة متأنية بكل منجزه يمكن أن نستشف أنّ غربته بالإضافة إلى المكانية فهي زمانية أيضا ووجودية ضاربة بالأعماق وهذه الغربة العجيبة بكل أبعادها وإسقاطاتها على جسده أملتها ظروفا عديدة وتحولات سياسية، أيدلوجية واجتماعية ونفسية
وفي هذه القصيدة اتسع المكان وقد اكتمل على يد الشاعر بناؤه الشعري الذي تماوج مع إيقاع القصيدة وشفافية كلماتها وصوتها الداخلي الذي تفرد بغربة زمانية تبدو أنها خرجت من أعماق روحه.

الخاتمة

ـ اتضح لنا من البحث اتكاء الغريب على المناجاة في التعبير عما تختلج به نفسه بلغة رمزية ذات بعد روحي عميق إشارة لما تكتمه نفسه من آهات نفسية وأوجاع متواصلة.
ـ أنّ الغريب يحسب أن ما افتقده أصبح من الأمنيات التي لا تتحقق لذا نجده يسلك طرقا مختلفة في التعبير ليشعرنا بأنّ كل شيء افتقده كان مقدسا في داخله .
ـ أن لمناجاة الشاعر لغة خاصة تميزه عن بقية المناجين فلغته إضافة لما تتميز به من جوانب فكرية فنجد ـ بوضوح ـ الشعور والإحساس والعاطفة فيها حتى تبتعد ـ أحيانا ـ عن المنطق العقلي أوالواقع المعقول نتيجة تبحره وانغماسه بالخيال.
ـ نجد في القصيدة مناجاة تكشف لنا حالة الغريب وكيفية انتقاله من حال إلى حال وتصبره على ضياع نفسه متأملا من المناجى الاستجابة لنجواه لتحيا نفسه من جديد.

المصادر

1- مبارك، د زكي مبارك،2012م، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر، د، ط.

2- السامرائي، د قاسم، 1969م، أربع مسائل في التصوف لأبي القاسم القشيري، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، العراق، بغداد، د، ط.

3- الخفاجي، د محمد عبد المنعم، الأدب في التراث الصوفي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، د، ط، د، ت.

4ـ بلعلي، د آمنة، د، ت، تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، د، ط.

5- عيسى، د سحر محمود، 2012م، المناجاة في الشعر العربي الحديث(قراءة جديدة)، دار الحكمة، العراق، بغداد، د، ط.

6- دومة، خيري دومة، 2013م، المناجاة نوعا أديبا، مجلة فصول العدد 83.

7- هلال، عبد الناصر، 2014، آليات السرد في الشعر العربي المعاصر، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر، القاهرة، مصر، ط، ا.

8.ابن دريد، ابو بكر ابن دريد ت(321هـ)،جمهرة اللغة، صححه المستشرق الألماني فريتس كرنكو ، دار صادر ، بيروت (د.ت).

9. ابن منظور محمد بن مكرم (711هـ)، 1955م ، لسان العرب ،– دار صادر – بيروت .

10ـ الربيعي، د إيناس عبد الهادي، د، ت، ديوان بدر شاكر السياب، دار القلم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

Sources

-1 Mubarak, Dr. Zaki Mubarak, 2012AD, Islamic mysticism in literature and ethics, Arabic words for translation and publishing, Egypt, d, i.

-2 Al-Samarrai, Dr. Qasim, 1969AD, Four Issues in Sufism by Abu Al-Qasim Al-Qushayri, Publications of the Iraqi Scientific Academy, Iraq, Baghdad, d. i.

-3 Al-Khafaji, Dr. Muhammad Abdel-Moneim, Literature in the Sufi Heritage, Gharib House for printing and Publishing, Cairo, d, i, d, t.

-4 Balali, Dr Amena d, t the Sufi Discourse Analysis in the Light of the Current Critical Methods, Al-Amal for Printing and Publishing, Algeria Amna, d.

-5 Issa, Dr. Sahar Mahmoud, 2012AD, Munajat in Modern Arabic Poetry (a new reading), Dar Al-Hikma, Iraq, Baghdad, d, i.

-6 Douma, Khairy Doma, 2013AD, Munajat is a literary genre, Fosoul magazine, issue .83

-7 Hilal, Abdel Nasser, 2014, Narrative Mechanisms in Contemporary Arab Poetry, The Arab Civilization Center for Media and Publishing, Cairo, Egypt, i, A.

.8 Ibn Duraid, Abu Bakr Ibn Duraid d. (321AH), Jamhrat al-Lughah, corrected by German orientalist Frits Krnko, Dar Sader, Beirut (d. T.(.

9 .Ibn Manzoor Muhammad bin Makram (711AH), 1955AD, Lisan al-Arab, Dar Sader - Beirut.

-10 Al-Rubaie, Enas Abdel-Hadi, d., Diwan Badr Shaker Al-Sayyab, Dar Al-Qalam for printing, Beirut, Lebanon.